

تفسير سورة النساء 88-90

تفسير سورة النساء 88-90

{فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فَتَتَّيِّنَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا} (88)

{فَمَا لَكُمْ} يا معاشر المؤمنين {فِي الْمُنَافِقِينَ فَتَتَّيِّنَ} أي: صرتم في المنافقين فتتئن أي: فرقتين، وذلك لأن المؤمنين اختلفوا في المنافقين على قولين، أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما عن زيد بن ثابت "أَنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى أَحَدٍ، فَرَجَعَ نَاسٌ مِّنْ كَانَ مَعَهُ، فَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ فَرَقَّتِينَ، قَالَ بَعْضُهُمْ: نَقْتَلُهُمْ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَلَا، فَنَزَّلَتْ {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فَتَتَّيِّنَ} [النساء: 88]". انتهى

{وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ} أي: أوقعهم في الخطأ، وردهم إلى الكفر {بِمَا كَسَبُوا} بأعمالهم السيئة، أي بسبب عصيانهم ومخالفتهم الرسول واتباعهم الباطل {أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَ اللَّهُ} من أضل الله {وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ} ومن يضلله الله {فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا} أي لا طريق له إلى الهدى.

{وَدُوا لَوْ تَكُفُّرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَخَذُوا مِنْهُمْ أُولَيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَخَذُوا مِنْهُمْ وَلِيًا وَلَلَا نَصِيرًا} (89)

{وَدُوا} تمنوا، يعني أولئك الذين رجعوا عن الدين من المنافقين اختلفتم فيهم، تمنوا {لَوْ تَكُفُّرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً} في الكفر، أي هم يودون لكم الضلالة لتسنوا أنتم وإياهم فيها، وما ذاك إلا لشدة عداوتهم وبغضهم لكم {فَلَا تَتَخَذُوا مِنْهُمْ أُولَيَاءَ} حرم موالاتهم {حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} معكم، فيصيروا عند ذلك مثلكم، ويكون لهم حينئذ حكمكم، وفي هذه الآية منع المؤمنين من موالة المنافقين حتى يهاجروا في سبيل الله {فَإِنْ تَوَلُّوْا} أعرضوا عن التوحيد والهجرة {فَخُذُوهُمْ} أي خذوهم أسرى {وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} في الحل والحرم {وَلَلَا تَتَخَذُوا مِنْهُمْ وَلِيًا وَلَلَا نَصِيرًا} أي لا توالوهم ولا

تستنصروا بهم على أعداء الله ما داموا كذلك، ثم استثنى جماعة منهم فقال:

{إِلَّا الَّذِينَ يَصْلُوْنَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَسْرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسْلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا} (90)

{إِلَّا الَّذِينَ يَصْلُوْنَ إِلَى قَوْمٍ} وهذا الاستثناء يرجع إلى القتل لا إلى المولاة، لأن مولاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال، ومعنى (يصلون) أي: يلجؤون إلى قوم {بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ} أي: عهد، أي إلا الذين لجأوا وتحيزوا إلى قوم بينكم وبينهم مهادنة، أو عقد ذمة؛ فلا تقتلوهم واجعلوا حكمهم حكمهم.

{أَوْ جَاءُوكُمْ} هؤلاء قوم آخرون من الذين استثناهم الله من الأمر بقتالهم، وهم الذين يجيئونكم وقد {حَسْرَتْ صُدُورُهُمْ} أي: ضاقت صدورهم {أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ} أي لا يريدون قتالكم، ضاقت صدورهم عن قتالكم {أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ} ولا يريدون قتال قومهم في نفس الوقت، معناه أنهم لا يقاتلونكم مع قومهم، ولا يقاتلون قومهم معكم، فهم لا لكم ولا عليكم {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسْلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتُوكُمْ} يذكر منه على المسلمين بكف بأس هؤلاء عنهم، يقول: إن ضيق صدورهم عن قتالكم لما ألقى الله في قلوبهم من الرعب وكفهم عن قتالكم، ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم مع قومهم {فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ} أي: اعززوا قتالكم {فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ} أي: المساومة، فانقادوا واستسلموا {فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا} أي: طريقة بالقتل والقتال، أي فليس لكم أن تقاتلواهم ما دامت حالهم كذلك.